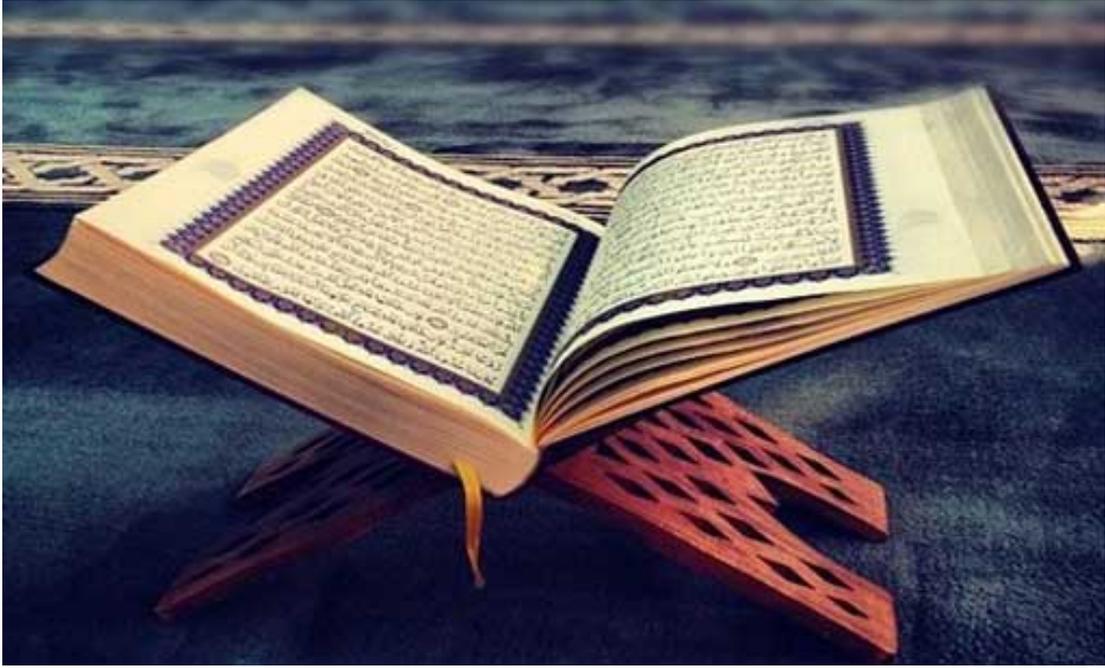


القرآن الهداية المثلثي



«إنّ أَلزم الأمور التي ينبغي أن يعلمها الإنسان، هي معرفة مبدئه ومعاذه. وإنّ أخطّ ضروب الجهل، أن يجهل الإنسان من أين بدأ حياته، وإلى أن سيصير.

وليس على وجه الأرض فلسفة شاملة، تُفسّر لنا الكون والحياة والإنسان على أُسسٍ لا يملك العقل السليم إلاّ الإذعان لها، والانقياد إليها كالفلسفة الإسلامية الفدّية، التي لا تدع مجالاً للرّيبة أو الشكّ، في قوّة حُججها وبراهينها، لِمَن ألقى السمع وهو شهيد. والقرآن الكريم في فلسفته عن الكون والحياة والإنسان، سمقَ سموقاً بعيداً عن خرافات (الطّفرة)، و(الصّدفة)، و(تنوّع الأنواع)، و(القول بالمادّة)، ونحوها من المقولات التي جاءت عليها المُكتشفات الحديثة، والتجارب العلمية، ورمتها في زاوية الأفكار البائدة، والنظريات الكاسدة.

في حين أكّدت هذه التجارب والمُكتشفات، كلّ ما أشار إليه القرآن، من أمّهات العلوم، وصدّفته فيما ألمحَ إليه من عجائب الأمور.

وليس على وجه الأرض، كتاب دين مثل القرآن يدلّ على العلم، ويدعو إليه ويُثبّت عليه، ويحثّ على الاختراع والاكتشافات، والبحث والتحرّري، ويجلّ العلماء، ويرفع مكانتهم، ويعلي شأنهم.

والعلم الذي يدعو إليه القرآن، هو علم نافع، سواء علم الأديان أو العقائد أو العبادات أو علم الأبدان، أو علم طبقات الأرض، أو علم الأجنّة، أو علم الصحّة الغذائية أو الوقائية، أو علم الفضاء، أو غيرها من العلوم التي تطرّقت إليها الآيات الكريمة والتي لا مجال لبيانها في هذا الموجز.

ومما يمتاز به القرآن الكريم على كتب الأديان البحتة، وكُتُب العلوم البحتة، أنَّه يوحِّد ويربط بين دقائق المخلوقات، وعجائب الكائنات، وبين الصانع القادر جلَّ شأنه من حيث الخلق والتدبير والتصرف والتنظيم وحدة الإرادة والقصد والنظام.

إنَّ تحطيم الذرَّة قد حطَّم كلَّ فكرة لا تتصل بالله تعالى، لما في الذرَّة من قوى هائلة، ونظام دقيق، سبق للقرآن الكريم أن سجَّل كشافاً عنها يذهل العقول حين أشار إلى الزوجية في كلِّ شيء، وكان العلماء يعتقدون جازمين أنَّ الذرَّة أصغر ما في المادة.

وفي عصرٍ كان العالم فيه يغطُّ في سُبات عميق، أوضح القرآن الكريم، ما أودع الله تعالى في الإنسان من قدرات، تؤهِّله لغزو الفضاء وتسخير الكواكب والشموس، وجميع الطاقات الكونية لصالح البشرية، لأنَّ الله تعالى أخبره: أنَّه جلَّ شأنه سخَّر للإنسان جميع ما في السماوات والأرض لخدمة مصالحه في كثير من الآيات.

وإنَّ تمزيق شرنقة الجمود الفكري والعلمي، والصعود إلى القمر وغزو المريخ وغيرها، ليكشف جليلاً عن دقيق صنع الله تعالى وحكمته، في تدبير الكون، وعظمة سلطانه من جهة، ويكشف عن مدى التفوق العلمي والتقدُّم الحضاري الذي تضمَّنه القرآن وهبأه للبشرية، في سبيل هدايتها، وإرشادها لما يسعدها.

ومن الملامح البارزة في القرآن الكريم، أنَّه لم يعوِّل في مجال هدايته على أمر مثل تعويله على القضايا العلمية الكبرى. ففي القرآن الكريم مئات الآيات الهادفة إلى هداية الإنسان إلى ربه الكريم، ولكنها تتعرَّض إلى أخطر وأدقِّ النواحي المتعلقة بالطبيعة أو الحيوان أو النباتات، في سياق التدليل على عظمة الله ووحدانيته، ولزوم شكره وطاعته واتِّباع منهجه المُنزَّل وشريعته الغراء.

فمن الآيات التي وردت في سبيل هداية الإنسان وتضمَّنت كُتُبات المسائل العلمية، قوله تعالى:

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِرَغَيْبٍ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (لقمان/ 10-11).

وقوله سبحانه:

(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس/ 40).

(سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا مِنْ مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْزَلْنَا مِنْهُمْ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) (يس/ 36).

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين/ 4).

ومن القضايا النفسية والسلوكية التي أثارها القرآن، قوله تعالى:

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَلَمْ يَرَأْهُ اسْتَغْنَى) (العلق/ 6-7).

السلطين والطواغيت، وزال كا بوس الجبابة، ممّن فرضوا على الناس ألوهيتهم الكاذبة، وأشرفت الأرض بنور التوحيد والعلم والمعرفة التي شعّت من آيات القرآن الكريم متخطّية حدود الأجيال وأبعاد الزمن، شاملة الإنسانية في كلّ أدوارها وأطوارها.

فهل يوجد معنى للهداية والرشاد، والأخذ بيد البشرية - كلّ البشرية - إلى المستقبل الأفضل، والعيش الأرغد، أسمى ممّا أنجزه القرآن الكريم وحقّقه في مجالي النظريات والتطبيقات.

وهل أمكن للإنسان (العلماني) أن يُحقّق في أيّ مجال من مجالات الحياة العامّة والفردية أدنى ما حقّقه الإنسان (القرآني) بأوّل دفقة شعاع أشرفت من القرآن؟

وهل شيّدت على كوكبنا الأرضي حضارة تُضاهي بل تُداني بعض ما شيّده إنسان القرآن، من حضارة على أُسس من الأخاء الإنساني، والمساواة التامة، والعدالة الشاملة، والخير العميم والاستقرار الاجتماعي وسائر الحقوق التي تثور من أجلها شعوب العالم اليوم..؟▶